

الحلقة (١٩)

موضوع الحلقة: تفسير الآيتين (١٨٦، ١٨٥) من سورة البقرة:

يقول الباري تبارك وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

قوله تبارك وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ}: الشهر مشتق من الإشهار لأنه مشتهر لا يتعذر علمه على أحد يريده، ومنه يقال: شهرت السيف إذا سللته.

رمضان: مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حرّ جوفه من شدة العطش، والرمضاء شدة الحر، ومنه الحديث: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال) رواه مسلم.

قال الجوهري شهر رمضان يجمع على رمضان وأرمضاء، وقد حكى الماوردي أن اسم رمضان في الجاهلية ناتق.

سبب تسمية رمضان بهذا الاسم اختلف فيه على أقوال:

- القول الأول: قيل أنه عندما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر، شدة الحر، وسمي بذلك.
- القول الثاني: إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها بالأعمال الصالحة التي تكون فيه.
- القول الثالث: أن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكرة في أمر الآخرة؛ كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس.

- القول الرابع: قيل هو من رمضت النصل إذا دققته بين حجرين ليرق أو ليدق، وسمي الشهر به لأنهم كانوا يرمضون أسلحتهم في رمضان ليحاربوا بها في شوال قبل دخول الأشهر الحرم، والله أعلم.
- امتدح الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بقوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} امتدحه الله من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن بإنزال القرآن العظيم، وكان إنزال الصحف والتوراة والزبور والإنجيل على كل نبي أنزل عليه في جملة واحدة، أما القرآن فإنما أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ} ثم نزل بعد ذلك مفراً بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والأيام، وبهذا فسر قوله تبارك

وتعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا.

ثم قال سبحانه وتعالى: {هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه، "وَبَيِّنَاتٍ": أي دلائل وحجج بينة واضحة جليته لمن فهمها وتدبرها، دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المنافي للغي، ومفرقاً بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

← مسألة تذكر عند تسمية رمضان بهذا الشهر الكريم "شهر رمضان":

روى عن بعض السلف أنه كره أن يقال رمضان وإنما يقال شهر رمضان، وروى حديث (لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان) وروى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ضعيف.

ولقد انتصر البخاري رحمه الله وتعالى في صحيحه للجواز أن يقال [رمضان] لا حرج، وقال: باب يقال رمضان، وساق في ذلك أحاديث منها (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة) ودل ذلك على أنه يجوز قول رمضان هكذا لا حرج، والحديث في ذلك ضعيف.

قوله تبارك وتعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر، أي كان مقيماً في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن يصوم لا محالة، وهذه الآية ناسخة للتخيير المتقدم في أول الإسلام لكن نُسخ هذا التخيير.

← مسألة: قال أهل العلم يحكم لدخول شهر رمضان بواحد من الأمرين:

الأمر الأول: رؤية هلاله، لقوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الهلال فصوموا)، متفق عليه.

وهنا لا يشترط أن يراه كل واحد بنفسه، بل إذا رآه من يثبت بشهادته بدخول الشهر وجب الصوم على الجميع.

شروط قبول الشهادة بالرؤية:

١/ أن يكون الشاهد بالغاً. ٢/ عاقلاً. ٣/ مسلماً. ٤/ موثقاً بخبره لأمانته وبصره.

٥/ ويثبت دخول رمضان خاصة بشهادة رجل، لقول ابن عمر رضي الله عنه (تراءى الناس الهلال فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أي رأيته فصام وأمر الناس بالصيام) رواه أبو داود والحاكم وقال على شرط مسلم.

وإذا أعلن ثبوت الشهر من قبل الحكومة في الراديو أو غيره وجب العمل بذلك في دخول الشهر وخروجه.

وإذا ثبت دخول الشهر ثبوتاً شرعياً فلا عبرة بمنازل القمر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم علق الحكم برؤية الهلال لا بمنازله، فقال صلى الله عليه وسلم: **(إذا رأيتم)** المسألة لا ترتبط بمنازل القمر والتقويم ونحو ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: **(إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا)** متفق عليه.

الأمر الثاني: إكمال الشهر السابق قبله ثلاثين يوماً، إذا كمل شهر شعبان ثلاثين يوماً حكم بدخول الشهر، لأن الشهر القمري لا يمكن أن يزيد على ثلاثين يوماً، ولا ينقص عن تسعة وعشرين يوماً، فمتى تم الشهر السابق ثلاثين يوماً حكم شرعاً بدخول الشهر الذي يليه وإن لم ير الهلال، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين)** رواه مسلم رواه البخاري في لفظه إن غمي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين.

قال تبارك وتعالى: **{وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}** المراد هنا في الآية من كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه، أو يؤذيه، أو كان على سفر، فله أن يفطر، فإذا أفطر فعليه عدة من أيام بقدر ما أفطره.

قوله تبارك وتعالى **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** أي إن الله جل وعلا إنما رخص لكم الفطر في حال المرض أو على السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح، تيسيراً علينا ورحمةً بنا.

استدل جمع من الصحابة والتابعين بهذه الآية على وجوب الإفطار في السفر خاصة، في قوله عز وجل **{فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}** ولكن الاستدلال **هنا غير صحيح،** **الصواب:** أن الأمر في ذلك على التخيير، **وإن كان الأفضل في ذلك الفطر خاصة لمن كان يشق عليه الصيام في السفر،** لكن المسألة على

التخيير، لأنه قد ثبت في الحديث الصحيح (عن الصحابة أنهم خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم الصائم ومنهم المفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم) رواه مسلم، فلو كان الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام، بل الذي ثبت بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان صائماً، لما ثبت في الصحيحين: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حرٍ شديد، حتى إن كان أحداً ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه)، هذا فيه دليل على أن الفطر بالنسبة للمسافر في نهار رمضان ليس بواجب.

← مسألة مرتبطة بالمسألة السابقة: أن أهل العلم اختلفوا أيهم أفضل للمسافر في نهار رمضان الفطر أو الصوم، مسألة خلافية قديماً وحديثاً فيها عدة أقوال:

• **القول الأول:** قال طائفة منهم الشافعي الصيام في السفر أفضل من الفطر، لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم، ولأنه أدى الفرض في وقته وقد قدر عليه إبراءاً للذمة.

• **القول الثاني:** قالت طائفة بل الإفطار أفضل أخذاً بالرخصة، لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه

قد سئل عن الصوم في السفر فقال: (من أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه) رواه مسلم.
وفي الحديث الآخر: (عليكم برخصة الله التي رخص لكم)، رواه مسلم، وقد روي عن جمع من السلف أنهم كانوا يفطرون ويقرؤون قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}.

• **القول الثالث:** قالت طائفة هما سواء الفطر والصيام، بالنسبة للمسافر سواء، لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال يارسول الله: إني كثير السفر أفصوم في السفر؟ فقال: (إن شئت فصم وإن شئت فأفطر) وهو في الصحيحين، وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: (سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم).

• **القول الرابع:** قيل إن شق الصيام فالإفطار أفضل، لحديث جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قد ضلل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا: صائم، فقال: عليه الصلاة والسلام: (ليس من البر الصيام في السفر).

❖ هذه الأقوال للترجيح بينها، ويذهب كثير من أهل العلم إلى مايلي:

- **أولاً:** الأصل الجواز يجوز الفطر ويجوز الصيام.
- **ثانياً:** لو أن إنساناً ركب طائرة، وهو مرتاح، وأراد أن يفطر لا حرج عليه أن يفطر، سواء كان بمشقة أو عدم مشقة، العلماء يقولون إذ لم يكن هناك مشقة والأمر متيسر فلو صام أفضل براءة للذمة وأداءً للواجب في وقته، وإذا كان هناك مشقة فيشعر له الإفطار والله أعلم.

❖ القضاء هل يجب أن يكون متتابع أو يجوز التفريق هناك قولان:

- **القول الأول:** أنه يجب المتتابع، لأن القضاء يحكي الأداء مادام الأداء متتابع إذن القضاء متتابع.
- **القول الثاني:** لا يجب المتتابع، بل إن شاء فرق وإن شاء تابع، وهذا قول الجمهور، السلف والخلف، وعليه ثبتت الدلائل، لأن المتتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر، أما بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام أيام عدة ما أفطر، ولهذا قال تعالى: {فعدة من أيام آخر} أي ليس هناك تحديد أنه يجب هناك على المتتابع.

قوله تبارك وتعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} هذه كما قال العلماء إرادة شرعية، والإرادة الشرعية هي محبوبة إلى الله جل وتعالى، ولكنها قد تقع وقد لا تقع، لكن لا يلزم تحققها ووقوعها.

فالله جل وتعالى أراد لنا اليسر والله الحمد فقد روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أن خير دينكم أيسره)، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُتَّقِرُوا)، وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن (بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطوعا ولا تختلفا)، وفي السنن والمسانيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بعثت بالحنيفية السمحة).

قوله تبارك وتعالى: **{وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ}** أي أمركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم، أي من أفطر لمرض أو سفر فليقضي حتى تكتمل عدة الشهر.

قوله تبارك وتعالى **{وَلِتَكْبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}** أي لتذكروا الله عند انقضاء عباداتكم وما هداكم إليه وقد ضل عنه غيركم.

العلماء يقولون أن الله جل وعلا دائماً يشرع الاستغفار والتكبير والحمد والثناء عليه سبحانه بعد أداء العبادات، هنا بعد الصيام يشرع التكبير بعد الفراغ من الصلاة، **{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** أيضاً في الحج **{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ}**.

استدل العلماء بهذه الجملة من الآية **{وَلِتَكْبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}** على شرعية التكبير ليلة العيد ويوم العيد، وقد روي عن السلف صيغ في هذا، ومن أشهرها أنهم كانوا يقولون: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، يسن الإكثار فيها ليلة العيد ويوم العيد حتى يأتي الإمام للصلاة، هذا سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تبارك وتعالى **{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** أي إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته، بأداء فرائضه، وترك محارمه، وحد حدوده، لعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك هذا نوع من الشكر، الشكر بطاعة الله، القيام بأوامر الله، الحذر من نواهيه، هذا من شكر الله جل وعلا.

آية (١٨٦) من سورة البقرة:

قول الله جل وعلى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**

◀ سبب نزول الآية:

روى ابن ابي حاتم وابن جرير عن الصلت بن أبي حكيم ابن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أن أعرابيا قال: يا رسول الله أقریب ربنا فنناجیه؟ أم بعيد فننادیه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل قوله تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي}** الآية.

وعن عطاء أنه بلغه لما نزلت **{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** قال الناس لو نعلم أي ساعة ندعو، فنزلت **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}**.

كما يفسر الآية من السنة ما رواه الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، فجعلنا لا نصعد ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنني منّا فقال: **(يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك**

كلمة من كنوز الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله) أخرجاه في الصحيحين.
وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله وسلم قال: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني).

والمراد من هذا: الترغيب في الدعاء وأن الله جل وعلى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله شيء عنه، بل روى الإمام أحمد عن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ليستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبين).

والإنسان على خير إذا دعا ربه، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا إذن نكثر قال: الله أكثر).

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قيل يا رسول الله وما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويترك الدعاء).

قوله تبارك وتعالى: {قَالِي قَرِيبٌ} أي ممن دعاني، وهذا لا ينافي علوه سبحانه، فهو قريب في علوه، علي في دنوه، جل وعلى.
قوله: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} المراد بالطاعة، وقيل بالدعاء، ولا شك أن الدعاء من طاعة الله سبحانه وتعالى.

قوله: {وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} أي لعلهم يهتدون.
وهنا قال بعض المفسرين: إن الله جل وعلا ذكر هذه الآية بين آيات الصيام وأحكام الصيام للترغيب في الدعاء وبخاصة للصائم، فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثلاثة لا ترد دعوتهم، ومنهم الصائم حتى يفطر) وقال عليه الصلاة والسلام (للصائم عند فطره دعوة ما ترد) فلذلك ينبغي للمسلم في صيامه أن يكثر من الدعاء، وخاصة عند الفطر، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول عند فطره (اللهم إني لك صمت وعلى رزقك أفطرت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله).

يحرص الإنسان أن يكثر من الدعاء في كل زمان وكل مكان، وبخاصة مثل هذه الأوقات، وقت الصيام وبخاصة عند الفطر.